

القيم التربوية في غزوات الرسول ﷺ

كلية التربية – جامعة جازان
المملكة العربية السعودية.

أ.د. أحمد عبد القادر سعد الدين

كلية التربية – جامعة الزعيم الأزهري - السودان

د. محمد حسن بشير

كلية التربية – جامعة جازان – المملكة العربية
السعودية

أ. ليلى بنت علي محمد المالكي

المستخلص:

يتناول هذا البحث موضوع القيم التربوية الواردة في السيرة النبوية من خلال الغزوات الجهادية. ويهدف البحث إلى معرفة مدى تطبيق الرسول ﷺ كل مبادئ القيم التربوية السمحة في استراتيجية حروبه التي خاضها، من تخطيط سليم وهجوم مسبق وإنذار مبكر، فالاستراتيجية شملت جانبين مهمين: حيث شملت جانب الدعوة وجانب التبليغ انطلاقاً من مرحلة السرية ومروراً بمرحلة الجهرية. فالمؤمن الحق لا يخاف الموت ولا يخشى الفقر ولا يهاب قوة في الأرض، يسالم ولا يستسلم، ومن الأهداف المهمة معرفة بشارة الأنبياء فقد بشر بنبوت الأنبياء من قبله كسيدنا عيسى عليه السلام. وشهدت على صحة نبوته كتب السماء، واعترف أهل الكتاب بذلك. وتتمثل أهمية البحث في تقريب المسافة بين الشرق والغرب، وتصحيح المفاهيم الخاطئة لدى الذين ينظرون للإسلام على أنه دين حرب وقتال دون مبررات، كذلك معرفة المراحل القتالية والاستراتيجية الحربية التي استخدمها الرسول ﷺ في غزواته وفقاً لطبيعة الدعوة الإسلامية في مراحلها المختلفة، (مرحلة الحشد، مرحلة الدفاع عن العقيدة، مرحلة الهجوم، مرحلة التكامل). والإلمام بالقيم التربوية والاستراتيجية الحربية في الغزوات والتي استفادت منها الشعوب المختلفة في عالمنا المعاصر، تلك الاستراتيجية التي تمكن من كسر شوكة الأعداء داخل وخارج الجزيرة العربية. ومن أهم استنتاجات هذا البحث أنه تم نشر الدين الإسلامي على أوسع نطاق البسيطة، وتطبيق كل مبادئ القيم التربوية السمحة في استراتيجية الحرب المعروفة من تخطيط سليم وهجوم مسبق وإنذار مبكر فالاستراتيجية شملت جميع الجوانب القتالية، ونشر ثقافة القيم الجهادية (الإيمانية، الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية، والإنسانية).

الكلمات المفتاحية: القيم، القيم التربوية الجهادية، الغزوات، الاستراتيجية الحربية.

Abstract:

This research deals with the issue of educational values contained in the Prophet's biography through jihadist invasions. The research aims to know the extent to which the Prophet applied all the principles of tolerant educational values in the strategy of his wars that he fought, from proper planning, advance attack, and early warning. The true believer does not fear death, does not fear poverty, does not fear power on earth, he is at peace and does not surrender, and one of the insatiable goals is to know the gospel of the prophets. The books of heaven testified to the validity of his prophethood, and the People of the Book admitted that. The importance of the research is to approximate the distance between East and West, and to correct misconceptions among those who view Islam as a religion of war and fighting without justification, as well as knowledge of the combative stages and the war strategy used by the Messenger in his conquests according to the nature of the Islamic call in its various stages, (the stage of the crowd, the stage of Doctrine Defense, Attack Phase, Integration Phase). Familiarity with the educational values and the military strategy in the invasions, which benefited the different peoples in our contemporary world, a strategy that was able to break the thorns of the enemies inside and outside the Arabian Peninsula. One of the most important conclusions of this research is that the Islamic religion has been spread on the widest scale. And the application of all the principles of tolerant educational values in the well-known war strategy, including proper planning, advance attack, and early warning. The strategy included all aspects of combat, and the dissemination of the culture of jihadist values (faith, social, political, economic, and humanitarian).

Keywords: values, jihadist educational values, invasions, war strategy.

المقدمة:

بالنظر إلى استراتيجية القتال الجهادية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ وبعوثه وسراياه يمكن القول: أنه كان صاحب قيم لا مثيل لها، وكان أكبر قائد عسكري على مستوى البشر قديماً وحديثاً، لأنه صاحب عبقرية، ومن قيمه التربوية في جهاده أنه كان حكيماً في تصرفاته القيادية،

إيمانيتا واجتماعياً وسياسياً وإنسانياً واقتصادياً، عامل الأسرى أحسن معاملة بل كان يكرم بعضهم، ويطلق سراح بعضهم الآخر، الأمر الذي مكنه من النجاح في جميع غزواته التي غزاها، فلم يخض معركة من المعارك إلا في الظرف المناسب، ومن الجهة اللذين يقتضيهما الحزم والشجاعة والتدبير، ولذلك لم يفشل في أي معركة من المعارك التي خاضها، لأنه كان استراتيجياً بارعاً ومقاتلاً مقدماً، يقدر الأمور بقدرها، حيث ظهرت كل ذلك في تصرفاته، استطاع تعبئة جيشه، ووضعه على المراكز الاستراتيجية، واحتلال أفضل المواضع وأوثقها للمجابهة، واختيار أفضل خطة لإدارة دفعة القتال ولأنه كان يتمتع بقيم ومزايا أخلاقية عالية مع خصومه أثناء المعارك مما جعل الكثير منهم يعلن ويشهر إسلامه في كثير من الأحيان أثناء القتال وبعده.

أهداف البحث:

1. التعرف على القيم التربوية القتالية في الجهاد الإسلامي، فهي أهداف سامية ونبيلة ترمي إلى تحقيق العدل والأمن والاستقرار ونشر دعوة الإسلام في العالم بطريقة سلمية ورفع عامل الظلم والقهر والاستبداد، حتى في حالة الحرب، ومن هذه القيم (القيم التربوية الإيمانية والتي تتمثل في الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقدر، والعمل الصالح وإخلاص النية ومحبة الله تعالى، ورسوله والمؤمنين، والخوف والرجاء من الله -تعالى، والدعاء، والتقوى، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.
2. ترسيخ مبدأ القيم التربوية الاجتماعية والتي تتمثل في: (الحث على الإحسان، والرحمة، والعدل، والعفو، والقوة، والعزة، والصدق، والأمانة، والتعاون بين الناس).
3. بيان كفاءة ومقدرة الرسول ﷺ كقائد حربي ناجح في أسلوبه وطريقة تعامله، حيث أنه تدرج بجنوده من الضعف إلى القوة، ومن الدفاع إلى الهجوم، ثم أنه سن بعض القيم والأسس العسكرية والنظريات الحربية والقوانين في الحرب والسلم والحياد ما زالت مستخدمة إلى يومنا هذا.
4. كشف الحقائق عن القيم التربوية في الجهاد الإسلامي الذي شغل بال وفكر المستشرقين، فكتبوا عنه وفق ما أملاه عليهم التعصب والهوى والكرهية للدين الإسلامي.
5. الاستفادة من جوانب القيم التربوية في الاستراتيجية الحربية للجهاد الإسلامي في بناء عناصر قوية للمناهج التربوية الإسلامية.

أهمية البحث النظرية: تعود أهمية هذا البحث فيما يلي:

1. تناوله أمر من الأمور المهمة اليوم، وهي المحاولة لتحقيق التقارب في التعامل بين الشرق والغرب،
2. من المتوقع إزالة الجفوة والخلاف بينهما، فيما أنها تخدم أيضاً قضية السلم والأمن العالمي.
3. طرق موضوعاً أحسب أنه حيويّاً في ظرف تاريخي هام، يمر فيه المجتمع الإسلامي خاطبة بمنعطف تاريخي خطير لا يمكن تخطيه إلا بالرد المباشر لصاحب الرسالة المهداة، من خلال قيمه الفاضلة في كل الأوقات والأزمان سلماً كان أم حرباً.

منهج البحث:

تم اختيار المنهج التاريخي الوصفي لأنه منهج علمي أصيل يتناول الموضوع بالطريقة العلمية والموضوعية التاريخية المقارنة، والعمل على تأصيل الموضوعات بالأدلة بعد مناقشتها وتبيان الحقيقة بالأدلة الصحيحة دون التعصب لرأي معين أو تقليد.

حدود البحث:

- أ. **الحدود الموضوعية:** تضمن هذا البحث موضوع القيم التربوية في غزوات الرسول ﷺ، من حلال تتبع سيرته.
- ب. **الحدود المكانية:** مواقع جميع غزوات الرسول ﷺ داخل وخارج شبه الجزيرة العربية.
- ج. **الحدود الزمانية:** العام 1442هـ الموافق 2021م

مصطلحات البحث:

1. **مفهوم القيم: لقيم في اللغة:** جمع قيمة ومفردها قيمة، والفعل: قَوَّمَ وقام، وتدل على العزم والانتصاب، نقول: قام المتع بكذا، أي تعدلت قيمته به، والقيمة: الثمن الذي يقوم به المتاع، أي يقوم مقامه، وقومت المتاع: جعلت له قيمة.⁽¹⁾
2. **القيم التربوية:** هي مجموعة من المعايير الاجتماعية، والمتصلة بالمستويات الخلقية للجماعة، ويكتسبها الفرد من بيئته الاجتماعية، ويتأثر بها وتظهر من خلال سلوكياته وأفعاله ويسير عليها، وتكون موجهة لسير حياته ويهتدي بها
3. **السنة في اللغة:** تعني الطريقة، والحالة التي يكون عليها الإنسان وغيره، يُقال فلان له سيرة حسنة، وما أضيف إليه.⁽²⁾
4. **السيرة النبوية:** لا تختلف عن المعنى اللغوي، وتعني مجموع ما ور من وقائع حياة النبي ﷺ وصفاته الخُلقية والخلقية.⁽³⁾
5. **الحروب الجهادية القتالية:** بقصد بها الغزوات والسرايا التي خاضها الرسل ﷺ في حياته (48) غزوة وسرية.⁽⁴⁾

الإطار النظري (أدبيات البحث):

إن القتال في الإسلام لم يكن مشروعاً قبل الهجرة إلى المدينة المنورة فقد كان هم المسلمون في مكة نشر دعوة الإسلام وبث العقيدة، فلمّا اشتد عدااء قريش وصممت القضاء على الدعوة الإسلامية وهي في مهدها، وأجمعت أمرها على قتل النبي ﷺ، فاضطر إلى الهجرة هو وأصحابه إلى المدينة المنورة. ولكن قريشاً ظلت تحارب المسلمين، وبدأت العداوة تظهر بالكيد وتدبير الخطط لحرب المسلمين في وطنهم الجديد (المدينة المنورة)، وعندئذ أذن الله تعالى للمسلمين بالقتال، قال تعالى: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾ الحج:39. ظهرت نواة القيم التربوية في المدينة المنورة، عندما تم بناء مقراً للقيادة العامة (المسجد النبوي)، ولمزيد من الترابط والوحدة، حيث آخى الرسول ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار

حتى يكون الجميع يداً واحدةً تعمل لهدفٍ واحدٍ. ثمَّ عقد الرسول ﷺ معاهدة بين المسلمين من جهة واليهود والمشرّكين من أهل المدينة المنورة من جهة أخرى، وادعهم وأقرّهم على دينهم وأموالهم، وبهذه المعاهدة يمكن القول: إن الرسول ﷺ نظّم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية لسكان المدينة المنورة من المسلمين والمشرّكين واليهود. وما يهمنا هنا الجانب القيمي والاستراتيجي والعسكري لغزوات الرسول ﷺ.

خصائص القيم التربوية في السيرة النبوية:

لا شك أن القيمة التربوية الواردة في السيرة النبوية القتالية تتصف بعدة خصائص، وهذه الخصائص هي: (5)

1. خصائص خاصة بالشريعة الإسلامية، كون السيرة النبوية تقوم على مصادر التشريع الإسلامي.
2. خصائص القيم التربوية في السيرة النبوية القتالية تؤكد قدم نبوة محمد r.
3. بشارة الأنبياء بها، فقد بشر بنبوته الأنبياء من قبله كسيدنا عيسى عليه السلام.
4. الشهادة على صحة نبوته كتب السماء، واعترف أهل الكتاب بذلك.
5. ترسيخ المبادئ والأسس التي تساهم في بناء قيم مسامحة العدو في حالة النصر والعفو عند المقدرة.

المراحل الجهاد القتالية في غزوات الرسول ﷺ:

إن القيم التربوية في العقيدة القتالية الإسلامية هي وحدها تناسب العرب والمسلمين وتقودهم إلى النصر، لأن المبادئ التي تميز القيم التربوية العقيدة العسكرية الإسلامية سمة من سمات هذا النصر، أما الأساليب والوسائل فقد تكون متشابهة أو متقاربة بين العقيدة العسكرية الإسلامية والعقائد العسكرية الأخرى. وبالتالي يمكن وصف العقيدة العسكرية الغربية كما نلاحظها في حروب هذا العصر تركز على المبدأ القائل: (مزيد من النيران وقليل من المقاتلين)، فقيم العقيدة العسكرية الغربية عبارة عن إفراط في النيران وتفريط في المقاتلين، بينما الإسلام بقيمه وتعاليمه السمحة الرصينة جعل بحوافزه المادية والمعنوية المسلم الحق مطيعاً لا يعصى، صابراً لا يتخاذل، شجاعاً لا يجبن، مقدماً لا يتردد، مقبلاً لا يفر، ثابتاً لا يتزعزع، مجاهداً لا يتخلف، مؤمناً بمثل عليا مضحياً بالمال والروح، يخوض حرباً عادلةً لإحقاق الحق وإزهاق الباطل، ولتكون كلمة الله تعالى هي العليا، مدافعاً عن الأرض والوطن، وحرية انتشار الدعوة وحياتها، وحماية الإسلام والمسلمين ولمعرفة تلك الاستراتيجية بشئ من التفصيل، يمكن تقسيم استراتيجية الرسول ﷺ الحربية من الناحية العسكرية إلى أربعة مراحل هي: (6)

أولاً: مرحلة الحشد:

إن استراتيجية الحشد بدأت منذ بعثة النبي ﷺ بمكة المكرمة وقبل هجرته إلى المدينة المنورة واستقراره هناك. فمن القيم النبيلة أنه بدأ حياته العسكرية العملية بالدعوة سراً، منذ

نزول الوحي عليه، فبدأ يدعو الناس إلى توحيد الله تعالى، وتزكية نفوسهم وتطهيرها، وتوحيد الصفوف، ونكران مصلحة الفرد في حدود مصلحة الجماعة، وكان ذلك بالطرق السلمية، دون التعرض على أحدٍ من الناس، فأنحصرت الاستراتيجية في هذه المرحلة على الدعوة الكلامية أو الإعلامية، ورغم الدعوة السلمية هذه تصدى له مشركو مكة ووقفوا ضد دعوته، بل حاربوه وحاولوا قتله، قال تعالى: ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾ الحجر: 94. وفي إطار الجانب التنفيذي بدأ بعرض دعوته على أهل بيته وأصدقائه المقربين منه والذي يثق فيهم ويعتمد عليهم، وبالفعل آمنت به صفوة ممتازة، هم الذين كونوا النواة الأولى لجيش المسلمين إن صح التعبير، أمثال أبو بكر الصديق، وعلى بن أبي طالب وغيرهم. واستمرت الدعوة سرّاً ثلاث سنين، حتى نزل قوله تعالى: ﴿وأندر عشيرتك الأقربين﴾ الشعراء: 214. وبعد ذلك أعلن الرسول ﷺ دعوته جهراً بعد تخطئ المرحلة الأولى، وبذلك أصبح الرسول ﷺ والمسلمون عرضة لخطر قريش التي أظهرت خصومتها منذ بداية الدعوة، ثم أخذت هذه الخصومة تشتد وتعنف بتحريض القبائل الأخرى على الدعوة وصاحبها، ومقاطعة المسلمين وكل من يعطف عليهم، فبلغ حد العداوة لا يبايعونهم ولا يتعاونون منهم شيئاً، ولا يزوجهونهم أو يتزوجون منهم. وبعد أن اشتدت مقاومة قريش للمسلمين، وجه الرسول ﷺ المستضعفين منهم الذين لم يتمكنوا من دفع الضرر عن أنفسهم أن يهاجروا إلى الحبشة.

فكانت قيمة استراتيجية الرسول ﷺ الحربية في مكة المكرمة مكرسة للتوحيد من أجل الجهاد القادم، ولكي يصبح الأمر واقعاً أمر الرسول ﷺ مسلمي مكة المكرمة ومن حولها بالهجرة إلى المدينة المنورة للانضمام إلى إخوانهم هناك، فهاجر المسلمون القادرون على الهجرة تبعاً تاركين أموالهم وأهليهم، ثم كانت هجرته بنفسه إلى المدينة بمثابة اجتماع القائد العام بجنوده، في لقاء التنوير وفي قاعدة آمنة، وبالفعل تمكن الرسول ﷺ من حشد قواته بصورة عسكرية مقلنة، حيث بنى مقر القيادة العامة (مسجده الشريف) وهو الثكنة الأولى لجيش الإسلام، وأخى بين المهاجرين والأنصار حتى يتعاونوا ويكونوا جبهة واحدة لتحقيق هدف واحد، ونصرة هذا الدين الذي ضحوا من أجله، ثم عقد المعاهدات بين المسلمين وخصومهم في المدينة حتى يطمئن على قاعدته العسكرية، وبهدف الاطمئنان على الجبهة الداخلية أيضاً، وبعد أن اكتمل الاستعداد للدور المنوط للجهاد، نزل أول آية من آيات الجهاد في سبيل الله تعالى، قال تعالى: ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير. الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله﴾ الحج: 39، 40.

هذه هي المرحلة الأولى من الاستراتيجية الحربية وهي في مهدها، فكانت القيمة الجهادية مبنية على توحيد الصفوف وتكوين قاعدة آمنة للانطلاق، ففي حروب اليوم نشاهد أكبر الدول الحربية والتي تمتلك كل قوى الدمار الحربي، نجدها تجري وراء تأسيس قواعد عسكرية لها في أماكن استراتيجية، من أجل أن تنطلق منها عند الضرورة الحربية، لذا وجب علينا أن نفخر باستراتيجية قائد البشرية الحربية. (7)

ثانياً: مرحلة الدفاع عن العقيدة:

إذا اعتبرنا استراتيجية الحشد انحصرت في أمرين مهمين (التبليغ والإعداد). فإن هذه المرحلة يمكن أن نعتبرها من المراحل المهمة في جانب استراتيجية الرسول ﷺ العسكرية، إذ أن المسلمين نفذوا فيها الجانب العملي أو التطبيقي أو العسكري من جانب الدعوة. كما أنها المرحلة التي شعر المسلمون فيها بضرورة الدفاع عن هذا الدين بكل ما يملكون من قوة، ويعاملوا أعدائهم بالمثل. فهي بدأت من إرسال السرايا القتالية الأولى إلى انسحاب (الأحزاب) من المدينة المنورة بعد غزوة الخندق. وفي هذا الدور ازداد عدد المسلمين، فصمدوا دفاعاً عن عقيدتهم ضد أعداءهم الأقوياء، وأصبحوا لهم كيان ووجود فعلي شهده الأعداء واقع مشهود، فبعد أن استقر المسلمون والمهاجرون في المدينة المنورة، كان ذلك إيذاناً بظهور الدولة الإسلامية تحت إشراف مؤسسها الأول الرسول r.

فكان أول عمل بدأ به القائد العام أنه أنشأ موقراً للقيادة متمثلاً في بناء المسجد النبوي الشريف بهدف إقامة مجتمع إسلامي راسخ متماسك، يتألف من الأنصار والمهاجرين، فالمسجد يعدّ بمثابة القيادة العامة للجيش الإسلامي الأول إن صح التعبير، ففيه وضعت الخطط والاستراتيجيات العسكرية، فانصهر الجنود في قالب جهادي متين، وتعلقت قلوبهم بربهم الواحد. ففي هذا المقرر كان يجتمع القائد بجنوده، ويحثهم على القتال، ويغرس فيهم قيم حب الجهاد والشهادة في سبيل الله تعالى، ففيه تكون الجيش الإسلامي الذي كان يؤمن بعقيدة راسخة، ومنه انطلق الجيش الإسلامي الأول مدافعاً عن العقيدة، وعن الدين الجديد.

ثم أن القيمة التربوية الثانية التي اعتمدها الرسول ﷺ في بناء المجتمع الجديد والدولة الإسلامية لضمان الموقف الأمني، آخى بين المهاجرين والأنصار على الحق والمساواة، فأست تلك الإخوة على حقيقة العقيدة الإسلامية. ولكي يدعم الرسول ﷺ الموقف الأمني في إطار هذه الاستراتيجية العسكرية عقد معاهدة بين المسلمين من جهة واليهود والمشركين من جهة أخرى، وادعهم فيها وأقرهم على دينهم وأموالهم، وفي هذه المعاهدة نظم الرسول ﷺ الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية لسكان المدينة المنورة من المسلمين والمشركين واليهود، فنصت المعاهدة على تعاون أهل المدينة في ردّ كل اعتداء يقع عليها من الخارج، وبذلك توحدت صفوف أهل المدينة وأصبح لهم هدف واحد، فسياسة تحصين الداخل بالمؤاخاة والمعاهدة هي الخط الدفاعي الأول للمسلمين. وبالتالي قويت شوكة المسلمين، وانطلقت المسيرة الجهادية للمسلمين فأصبحوا في مواجهة حقيقية مع أعدائهم. (8)

وبعد أن تهيأت أسباب ومسببات اللقاء بين المسلمين وأعدائهم، ولكي يشعر المسلمون المشركين والمنافقين بقوة المسلمين، بدأ الرسول ﷺ بتنفيذ استراتيجيته القتالية، فكان أول عمل عسكري قام به المسلمون هو إرسال قوة عسكرية، بمثابة دورية استطلاعية قتالية أولى لاعتراض قافلة تجارية لقريش يحميها أبو جهل بن هشام، ومعني هذه الدورية إيذاناً ببدء المرحلة القتالية الدامية، والتي تهدف إلى تهديد طريق تجارة قريش بين مكة والشام. فكان أول عمل حربي دامي

بين المسلمين وأعدائهم قريش (غزوة بدر الكبرى). وفي هذه الغزوة ظهرت براعة الاستراتيجية الحربية للرسول ﷺ، طرفين غير متكافئين من حيث العدد والعتاد، ومع ذلك قدّر الله تعالى للحق أن ينتصر على الباطل، ولما كان في احتلال الموقع المناسب أثراً في سبب النصر أو الهزيمة، نجد أن المسلمين احتلوا الموقع الحربي المناسب للقتال في هذه المعركة، فغزّ النصر على عدوهم، وكانت الهزيمة الكبرى في أول معركة عسكرية دامية، مع أكبر عدو يكيد للإسلام والمسلمين آنذاك. قال تعالى: ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْقُصْوَى وَالْزُكْبَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافْتُمْ فِي الْمِيْعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ الأنفال:42. ولهذه المعركة نتائج استراتيجية وعسكرية وقيم تربوية عديدة منها: (9)

1. ثبات المسلمين أمام الأعداء رغم قلة عددهم وعدم تهيئهم للقتال، فثبات القلة أمام الكثرة مع عدم التكافؤ في الإمكانيات القتالية، يؤكد قوة استحكام الخطة المرسومة لخوض المعركة.
2. التزام الرسول ﷺ بمبدأ الشورى في الحرب، حيث أنه جمع قادة جيشه واستشارهم في أمر القتال، وهذا مبدأ تربوي عظيم فيه تربية على احترام الرأي.
3. التزم الرسول ﷺ بمبدأ المحافظة على المعاهدة، عندما استشار الأنصار، حتى طابت نفسه، وهذه تربية على احترام المعاهدات والوفاء بها.
4. جواز استخدام العيون في المعارك حيث استخدم الرسول ﷺ العيون في هذه المعركة عندما أرسل طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد ليأتيان له بخبر العير، ثم استخدم السرية في التحرك حينما أمر بقطع الأجراس من عنق الإبل، وهذه استراتيجية حربية على مستوى عالٍ.
5. نظم الرسول ﷺ صفوف جنوده وقابل المشركين بأسلوب حربي جديد لم يألفه المشركون من قبل، وهو أسلوب القتال في صفوف، وقد وصفهم الله تعالى بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بِنِيبٍ مُّارِضُونَ﴾ الصف:4، ثم اتخذ عبارة معينة للهجوم فكان يأمر الصحابة عند الكر على المشركين بكلمة (شدو).
6. الاستعانة بالدعاء في الشدائد أمر مرغوب فيه لأن الرسول ﷺ قد ابتهل بالدعاء للمسلمين، قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ﴾ الأنفال:9، وهذه تربية إيمانية فريدة، إذ تحت المسلم التعلق بربه في أهلك الظروف والمواقف.
7. ظهور المعجزة الإلهية بنزول المدد السماوي، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الأنفال:10. وبعد معركة بدر فقد حرصت قريش على الأخذ بالثأر من المسلمين وصممت على الاستعداد عسكرياً لاستعادة كرامتها وشرفها بين قبائل العرب التي كانت تهابها. ومن ثم قام

زعماء من قريش ممن لم يقتلوا في غزوة بدر، واجتمع رأيهم على الثأر لقتلهم في بدر، وأن يستعينوا بغير أبي سفيان وما فيها من أموال لتجهيز جيش قوي لقتال المسلمين. ومن خلال استخبارات المسلمين علم الرسول ﷺ باقتراب المشركين من المدينة، وكعاداته في مثل هذه الأمور استشار أصحابه في الموقف، فجمع النبي ﷺ المهاجرين والأنصار، وكان رأى رسول الله ﷺ البقاء بالمدينة والتحصن بها، فإن هم دخلوا عليهم قاتلوهم، وهذا رأى شيوخ المهاجرين والأنصار، ولكن الكثيرين ولا سيما الشباب ممن لم يشهد بدرًا، أو شهدوا وأمتعهم الله بالنصر قالوا: يا رسول الله: أخرج بنا إلى أعدائنا، حتى لا يرون أننا جنبنا عنهم وضعفنا أمامهم، ومن هؤلاء حمزة بن عبد المطلب.

وحسب الاستراتيجية خرج الرسول ﷺ قاصداً قريش في أحد، ومن ثم التقى الجمعان، وانتصر المسلمون على المشركين انتصاراً باهراً وتقهقر المشركون إلى الورااء تاركين مغانم كثيرة، وتبعهم المسلمون يومئذ يجمعون الغنائم، وإزاء هذا الموقف ظن الرماة أن الحرب انجلت، وتركوا ثغرهم بالجبل وأسرعوا تجاه المسلمين. فانتهاز (خالد بن الوليد) قائد ميمنة جيش الكفار خلو الجبل من الرماة، فتعقب المسلمين من الورااء. فكانت الدائرة أخيراً على المسلمين، وخسر المسلمون في تلك الغزوة نفراً كثيراً. وهنا ظهرت براعة الرسول ﷺ القيادية، فلم يستسلم المسلمون للهزيمة فقد تابع العدو إلى موقع حمراء الأسد، وذلك لكي يحتاط من المشركين حتى لا يغرم النصر ويلحقوا بالمسلمين في المدينة. فالحكمة من الهزيمة أن يمن الله تعالى على المسلمين بالنصر وحلاوته وأحياناً يحرمهم من نعمة النصر ليزيقهم مرارة الحرمان، فقد يكون النصر أحياناً سبباً في طغيان النفوس، وليعرف المسلمون سوء عاقبة العصيان، حيث خالف رماة الجبل توجيهات النبي ﷺ قال تعالى: ﴿ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتهم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين﴾ آل عمران: 152. وفي الهزيمة قيمة تربوية أخرى أيضاً، تحقيقاً لعبودية الله تعالى في السراء بالشكر وفي الضراء بالصبر، ومن ثم أن الشهادة عند الله تعالى من أعلى مراتب الإيمان، فالشهداء هم الخواص المقربون إلى الله تعالى، لأنهم أعدوا أنفسهم في سبيل الموت، قال تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ التوبة: 111. (10)

ومن القيم الجهادية المهمة في الجهاد الإسلامي صد العدو ورد العدوان، ونتيجة لغزوة أحد سير الرسول ﷺ عدة غزوات تطهير إلى بني أسد، وبني لحيان، وبني النضير من يهود المدينة نتيجة تأمرهم على النبي ﷺ ومحاولتهم اغتياله، حتى تم إجلائهم من المدينة، ثم اتجه إلى بني ثعلبة وبني محارب من غطفان بذات الرقاع، وقضي عليهم، ثم بدر الآخرة ثم دومة الجندل، لصد القبائل التي وقفت عقبة في طريق المارة هناك، ثم بني المصطلق من خزاعة، من حلفاء بني مدلج، فكانت هذه الغزوات في إطار التطهير وتأمين موقف المسلمين من اعتداء المشركين

والقبائل عليهم. ففي هذه الدوريات القتالية قيم جهادية مميزة، إذ استخدم المسلمون كل خطط المعارك الحربية، منها: السرية في تحرك الجيش الإسلامي، فكان المسلمون في أغلب الأوقات يسرون ليلاً ويكمنون النهار خفيةً من الأعداء. ⁽⁸⁾ وبهذه القيم التربوية والاستراتيجية الحربية، نجح المسلمون في إعادة النظام إلى صفوفهم بعد أحد، وتخلصوا من يهود بني النضير بالمدينة الذين كانوا يكيّدون للمسلمين، وبذلك قوى مركزهم بالمدينة المنورة حيث قاعدتهم الأمانة، كما أثروا على معنويات قريش وكل القبائل التي كانت تطمح في مهاجمة المدينة، فلم تسطع قريش لقاء المسلمين في بدر الآخرة، لأنها قدّرت أن قوة المسلمين أكبر من أن تستطيع القضاء عليها وحدها، فكان لا بد من تجمع قوى كبرى، وهنا تصدى نفر من يهود بني النضير الموقف، وقاموا بمهمة تجميع قوات المشركين واليهود حول المدينة، ونجحوا في حشد أكبر قوة معادية للمسلمين متفوقة عليهم، واتفقوا على القضاء على الدين الجديد، أما قريش فهي الأخرى حشدت الجموع العربية الأخرى، وكل قبيلة لها ضغينة ضد المسلمين. وتزعمت قريش موقف قيادة المشركين، لأنها كانت على استعداد لو أتيحت لها الفرصة القضاء على النبي ﷺ والإسلام، خاصة بعد ما أصابها من نكسة بسبب نكوصها عن الخروج في بدر الآخرة، كما كان الأعراب الذين نال منهم النبي ﷺ في غزوات التطهير يتحينون الفرصة للانتقام من المسلمين، وقد كان اليهود من بني قينقاع وبني النضير الذين أجلاهم النبي ﷺ عن المدينة، يسعون ما في وسعتهم الحيلة في القضاء على المسلمين أيضاً. وعلى ضوء هذا الحشد كانت غزوة الأحزاب. (كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق النضري، وحيث بن الأخطب وكنانة بن الربيع، ونفر من بني وائل، وهم الذين جمعوا الأحزاب على رسول الله ﷺ خرجوا حتى قدموا على قريش مكة، فدعوههم إلى حرب الرسول ﷺ وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فقالت لهم قريش: يا معشر يهود، أنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نخلف فيه نحن ومحمد أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه) (9) فنزل فيهم قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً. أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً. ألم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيراً. أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد أتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً. فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيراً﴾ النساء: 51-55. ولما كان عدد المهاجرين عظيم لا قبل للمسلمين على الوقوف أمامهم في سهل منبسط كسهل بدر، فكانت الاستراتيجية المحكمة، وهنا استقر رأي المسلمين على أن يتحصنوا بالمدينة، ومن هنا كانت فكرة الخندق، فحفر المسلمون خندقاً في الجهة الشمالية وهي عورة المدينة لا يستطيع المهاجمون نفاذاً إلى المدينة إلا منها، إذ أن بقية مداخل المدينة ضيقة المسالك قد لا يفكر العدو في النفاذ منها، وهنا تعجب المشركون بمكيدة الخندق، تلك الفكرة التي لم تكن العرب تعرفها، وهنا استخدم الرسول ﷺ نعيم بن مسعود عندما جاء إلى الرسول ﷺ فقال: (يا رسول الله إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت، فقال رسول الله ﷺ:

إمّا أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة).⁽¹⁰⁾ وأمام هذه التحديات الأرضية، كان التحدي السماوي، إذ أنزل الله تعالى مدداً سماوياً، فأرسل ريحاً شديدة في ليلة شتاء باردة، هدمت خيامهم، وكفأت قدورهم، وأطفأت نيرانهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأحزاب:9. وأمام هذه الخطط الناجحة، وأمام التحديات السماوية لم يتمكن الأحزاب من الصمود، فولوا الأدبار وتركوا المدينة آمنة. وبعد هذه الغزوة تحول موقف المسلمون من الدفاع عن العقيدة إلى الهجوم، لأن شوكتهم قويت، وعددهم زاد، وشهرتهم عمت كافة الجزيرة العربية، فتمكنوا من نشر الإسلام على أوسع نطاق ممكن، حيث أنهم أصبحوا مهابين الجانب، وارتفعت راية الإسلام شرقاً وغرباً فوق كل راية، فهذه المعركة يمكن القول: إنها غيرت وجه التاريخ. أما الأحزاب بعد الهزيمة فقد اختلفت كلمتهم، وتفرقت جموعهم، ولم يجتمعوا مرة أخرى، لأن مصالحهم كانت متباعدة، وبالتالي ارتاح المسلمون من شرهم وكيدهم، فأصبحوا في يد المسلمون متى ما شاءوا وأوقعوا بهم الهزائم.

ويمكن إجمال نتائج القيم التربوية لهذه المرحلة في الآتي: (11)

1. القيمة الأمنية العالية والتي تتمثل في قوة استطلاع المسلمين، فقد استطاع المسلمون التعرف على الطرق المحيطة بالمدينة المنورة والمؤدية إلى مكة المكرمة، خاصة الطريق التجارية الحيوية لقريش بين مكة والشام.
2. القيمة العسكرية في استراتيجية هذه المرحلة حيث أثبت المسلمون أنهم أقوياء يستطيعون الدفاع عن أنفسهم تجاه المشركين من قريش والقبائل المجاورة وأهل المدينة غير المواليين للمسلمين.
3. القيمة السياسية حيث اتبع الرسول ﷺ أسلوب (الرسائل المكتومة) وذلك للمحافظة على الكتمان وحرمان العدو من الحصول على المعلومات التي تفيدته عن تحركات المسلمين، كما حدث ذلك في سرية (عبد الله بن جحش)، وهذا الكتمان يساعد على عامل من عوامل مبدأ (المباغثة) وهي أهم مبدأ من مبادئ الحرب

ثالثاً: مرحلة الهجوم

كانت استراتيجية هذه المرحلة مبنية على سياسة محاسبة الغادرين، وحماية الدعوة ونشرها، كما أنها مبنية على سياسة كسب الوقت، حيث كسب المسلمون الوقت بعد اندحار الأحزاب، فتابعهم المسلمون بهذه الغزوات وتمكنوا من القضاء عليهم بسهولة، لأن لو أبطأ المسلمون ربما فكر هؤلاء في استعادتهم شملهم والتحزب مرة أخرى ضد المسلمين. فحركة المسلمين السريعة لم تترك لهم الوقت للتفكير في جمع شملهم، وهذه استراتيجية قتالية عالية. كما استخدم المسلمون سياسة المباغثة في كافة دورياتهم القتالية، الأمر الذي أدى إلى فرار معظم هذه القبائل تاركة غنائمها للمسلمين.

بناءً على استراتيجية الهجوم قرر الرسول ﷺ الخروج إلى مكة، ولكي يضمن فعالية القرار حتى يضمن نجاح المهمة، أرسل رسله إلى القبائل من غير المسلمين يدعوهم للاشتراك للخروج مع المسلمين لزيارة الكعبة وتعظيمها لا للقتال، لأن العرب كانت تتجه إليها منذ مئات السنين، وما يؤكد سلامة نية المسلمين خروجهم في الشهر الحرام، وكانت خطة الرسول ﷺ في هذا النفير أي الاستعانة بالعرب، لأن إن أصرت قريش على مقاتلة المسلمين في الشهر الحرام ومنعتهم من أداء شعائر الحج والعمرة أسوة بالعرب الآخرين، لم تجد من العرب ما يؤيدها في موقفها هذا، فهذه الاستراتيجية تؤكد لنا مدى عبقرية الرسول ﷺ القيادية. حيث خرج رسول الله ﷺ ومن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق بهم من العرب، ومعه الهدى، وأحرم بالعمرة ليأمن الناس وليعلموا أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظماً له. (12)

فخطة الاستنفار هذه خطة عسكرية محكمة، رغم أن المسلمين لم يضمروا الحرب في زيارتهم هذه، ولكن احتاطوا أمام قريش عدوهم الأكبر الذي لا يؤمن شراً، وقد حدث الذي كان يتوقعه الرسول ﷺ، لأن أهل مكة أفزعهم ما وصل إليهم من أخبار الرسول ﷺ العسكرية، وخرجت قريش إلى بلدح وضربوا بها القباب والأبنية ومعهم النساء والصبيان فعسكروا هناك وقد اجمعوا منع الرسول ﷺ من دخول مكة ومحاربتهم، رجع بشر بن سفيان بهذا الخبر من مكة فلقى رسول الله ﷺ وأخبره الخبر. وقد ذكر ابن هشام أن قريش بذى طوى، والمسلمين بعسفان. وهنا استخدم الرسول ﷺ عاداته فاستشار أصحابه في الأمر، وأمرهم بالنزول أقصى الحديبية. وبعث عثمان بن عفان إلى قريش لكي يفاوضهم في أمر المسلمين، ويخبرهم مقصد الرسول ﷺ من المجيء إلى مكة، وذهب عثمان بن عفان إلى قريش، ولما تأخر عثمان بعض الشيء انطلقت إشاعة بأنه قد قتل، وعندئذ دعا الرسول ﷺ الناس للبيعة على القتال، فبايع الصحابة الرسول ﷺ، على أن لا يفروا وقيل على القتال، وتمت البيعة. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يَبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ الفتح:10، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ الفتح:18. ولكن عثمان بن عفان رجع إلى المسلمين بعد زمن. وعندئذ أرسلت قريش سهيل بن عمرو للمكاملة في الصلح، ثم عرض الشروط التي تريدها قريش وتمت المعاهدة المشهورة (صلح الحديبية)، فقبل الرسول ﷺ الشروط التي تريدها قريش كلها. أما المسلمون فقد داخلهم منها أمرٌ عظيمٌ، لأنهم يرونها مجحفة في حق المسلمين الذين تهبأوا لدخول البيت معتمرين.⁽¹³⁾ وبذلك قوي جانب المسلمين وكثر حلفاؤهم وازدادت قوتهم الضاربة. وبعد الصلح شهد الإسلام استقراراً لم يسبق له مثيل منذ بدء الدعوة ذلك الاستقرار الذي أَمِنَ التفرغ للدعوة وانتشار الإسلام حيث تيسر الوقت للمسلمين لنشر دعوتهم خارج مكة وداخلها بأمان. فاستراتيجية (صلح الحديبية) من أهداف الرسول ﷺ البعيدة التي لم يستطع المسلمون إدراكها في حينه، فكان قبول شروط الصلح على علاتها فيها حكمة ربانية، أن جعل هذا الصلح بمثابة مقدمة للفتح الأعظم (فتح مكة) فأنزل الله تعالى، في أمر هذه البيعة العظيمة

سورة الفتح، قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ الفتح:1. إذ سَمَى الله تعالى هذا الصلح بالفتح المبين. وبعد الصلح اطمأنت نفوس المسلمين من غدر عدوهم الأكبر (قريش)، وبالتالي فكروا في يهود خيبر الذين كانوا يشكلون خطراً على المسلمين خارج المدينة المنورة، خاصة بعد أنضم إليهم يهود المدينة الذين أجلاهم الرسول ﷺ، لذا فكّر المسلمون القضاء على اليهود نهائياً في منطقة المدينة المنورة للتخلص من أقوى أعداء المسلمين بعد قريش، ولتكون المنطقة آمنة حتى يحين موعد محاسبة قريش. ⁽¹⁴⁾ وعلى ضوء هذه القيم التربوية السامية والاستراتيجية كانت غزوة مؤتة، إذ جهز إليهم الرسول ﷺ جيشاً. وقد ورد في سيرة ابن هشام (بعث رسول الله ﷺ بعثته إلى مؤتة في جمادى الأولى من سنة ثمان، واستعمل عليهم زيد بن الحارثة، وقال: (إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب علي الناس، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس) فتجهز الناس ثم تهيؤوا للخروج، وهم ثلاثة آلاف، ودّع الناس أمراء رسول الله وسلموا عليهم، ثم مضوا حتى نزلوا (معان) من أرض الشام، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل (مآب) يعرف (بالكرك) اليوم من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، وانضم إليهم من (لخم وجذام واليقين، وبهراء وبللى) مائة ألف منهم عليهم رجل من (بللى)، وعندئذ أقام المسلمون في (معان) ليلتين يفكرون في أمرهم، وقالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا؛ فإما أن يمدنا بالرجال، وإما أن يأمرنا بأمره فمضى له، فشجع الناس عبد الله بن رواحة وقال: يا قوم، والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبون، الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ولا نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا فإمّا هي إحدى الحسنيين إما ظهور وإمّا شهادة، فقال الناس: قد والله صدق ابن رواحة، فمضى الناس). ⁽¹⁵⁾ وفي مؤتة التقى الفريقان في ظروف حرجية، ومناخ حربي غير متكافئ، ثلاثة ألف مقابل مائتي ألف مقاتل، واختلفت الروايات كثيراً فيما آل إليه أمر هذه المعركة، ويظهر بعد النظر في جميع الروايات، أن خالد بن الوليد نجح في الصمود أمام جيش الرومان طوال النهار في أول يوم من القتال. فلما أصبح اليوم الثاني غير أوضاع الجيش فجعل مقدمته ساقه، وميمينته ميسرته، فلما رآهم الأعداء أنكروا حالهم، وظنوا أن مدداً جاءهم. وعلى ضوء هذه الخطة العسكرية المحكمة جعل خالد يتأخر بالمسلمين قليلاً قليلاً، مع حفظ نظام جيشه، ولم يتبعهم الرومان ظناً منهم أن المسلمين يخدعونهم، ويحاولون القيام بمكيدة ترمي بهم في الصحراء وهكذا انحاز العدو إلى بلاده، ولم يفكر في القيام بمطاردة المسلمين، ونجح المسلمون في الانحياز ساعين حتى عادوا إلى المدينة. فتركت هذه الغزوة أثراً استراتيجياً هامة: إذ أنها ألقت العرب كلها في الدهشة والحيرة، لأن الرومان كانوا أكبر وأعظم قوة في وجه الأرض آنذاك، فكان لقاء الجيشين الغير متكافئين، ثم رجوع المسلمين عن الغزو من غير أن يلحق بهم خسائر كثيرة تذكر، كان ذلك من عجائب الدهر وقتئذ. ثم أن المعركة أكدت العمق والبعد الإيماني الذي في نفوس المسلمين (ثلاثة ألف مقابل مائتي ألف) أمر يدعو إلى الدهشة أيضاً. كذلك أن المعركة قد أظهرت الكثير من الخوارق الخاصة بالرسول ﷺ، لأنه قد تنبأ بنتيجة المعركة منذ البداية، فعين لها ثلاثة أمراء، فبعد أن استشهد الأمراء الثلاثة، وما أن استلم خالد بن الوليد الراية، قال الرسول ﷺ وهو بالمدينة:

(أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها ابن الرواحة فأصيب، وكانت عينا رسول الله تذرّفان، ثم قال: حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى فتح الله عليهم). وبمتابعة استراتيجية هذه المرحلة يمكن القول: إن هدنة الحديبية أتاحت للمسلمين الفرصة للقضاء على اليهود عسكرياً في المدينة وخارجها، كما أتاحت لهم السيطرة على القبائل في شمال المدينة حتى حدود العراق والشام وانتشر الإسلام بين القبائل العربية كلها، وأمن المسلمون عدوهم المرتقب الروم بعد أن تم اختبارهم في معركة مؤتة، فأصبح المسلمون قوة لا تدانيها أية قوة في بلاد العرب. ولم يبق أمام المسلمين بعد هذا إلا فتح مكة، تلك المدينة المقدسة التي ينظر إليها الكل، فانتهاز المسلمون فرصة نقد قريش العهد الذي بينها وبين المسلمين. وعلى ضوء هذا الموقف أمر الرسول ﷺ الناس أن يتجهزوا ولم يخبرهم بأنه سائر إلى مكة، وأوصاهم بالجد والبدار وأخذ الحذر، وهنا يمكن القول: إن المسلمين استخدموا عنصر المباغته، فقد حرص الرسول ﷺ أشد الحرص على ألا يكشف لأحد نياته عندما أراد التوجه إلى مكة، وبقيت نيته سراً مكتوماً حتى أنجز هو وأصحابه جميع الاستعدادات للحركة. ثم أن قوة استخبارات الرسول ﷺ له أثره الواضح في هذه الغزوة، إذ بثّ عيونه داخل المدينة ليقضي على كل خبر يتسرب من أهلها إلى قريش، ومن ثم بثّ دورياته واستخباراته داخل وخارج المدينة ليحرم قريشاً من الحصول على المعلومات، وليحرم المنافقين والموالين لقريش من إرسال المعلومات إليها. ثم أن المسلمين كانوا يتمتعون بقوة معنويات عالية، أعلى وأقوى مما كانت عليه أيام الصلح، الأمر الذي أدى إلى انهيار معنويات قريش عندما ظهروا لها، وهنا استخدم الرسول ﷺ استراتيجية حربية عندما نزل الجيش قرب مكة، ونصبت الخيام، وأمر الرسول ﷺ أن يوقد كل مسلم ناراً حتى ترى قريش تلك النيران، فتدخلها الرعب والخوف من كثرة الجيش، فيؤثر ذلك على معنوياتها وتستسلم للمسلمين من دون قتال، فخطّة إيقاد النيران في ليلة الفتح لم تعرف العرب له مثيل من قبل، استهدفت القضاء على روح المقاومة في قريش، ويجبرها على الاستسلام دون قتال، وبالفعل أوقد المسلمون عشر آلاف نيرانهم، ورأت قريش تلك النيران تملأ الأفق البعيد، وهنا أصبحت (أم القرى) وقد قيد الرعب حركتها، واستترخت تجاه القدر المنساق إليها، فاخترق الرجال وراء البواب الموصدة، أو اجتمعوا في المسجد الحرام يراقبون وهم واجمون، على حين كان الجيش الزاحف يتقدم ورسول الله ﷺ على رأس الجيش الزاحف، فهذا الموكب الفخم المهيب الذي ينساب به حثيثاً إلى جوف الحرم. إن هذا الفتح المبين ليذكره بماضٍ طويل الفصول كيف خرج مطارداً؟ وكيف يعود اليوم منصوراً مؤيداً؟⁽¹⁶⁾ وهكذا دخل رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين مكة من دون قتال أو مقاومة تذكر وبهذا تم الفتح الأكبر، وتحررت الكعبة الشريفة من عناصر الشرك والفجور وعبداء الأوثان. وبفتح مكة تم توحيد شبه الجزيرة العربية كلها تحت لواء الإسلام، كما أن للفتح أثراً معنوياً عميقاً في نفوس المسلمين والمشرّكين على حد سواء، فأصبحت شبه الجزيرة العربية قوة موحدة ذات عقيدة واحدة وهدف واحد تعمل بقيادة واحدة، كما كان لهذا الفتح أيضاً آثاراً تربوية حميدة إذ ظهرت التربية الربانية عندما عفا رسول الله ﷺ عن أهل مكة، (العفو عند المقدرة)، وهنا تظهر مكارم الأخلاق

التي يلزم أن يتعلم منها المسلم، أن يكون رضاء وغضبه لله تعالى لا لهوى النفس، فقال عليه الصلاة والسلام: (يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم، فقال عليه الصلاة والسلام: اذهبوا فانتم الطلقاء). وقد ضرب الرسول ﷺ بعفوه عن أهل مكة للدنيا كلها وللأجيال المتعاقبة مثلاً في البر والرحمة والعدل والوفاء، وسمو النفس. وبعد فتح مكة وصلت المعلومات إلى الرسول ﷺ بأن قبائل هوازن وثقيف من جهة الطائف قد أعدت العدة للمسلمين، فتجهز المسلمون للخروج لهم، وقبل الخروج أرسلوا العيون ليتعرفوا عدتهم وعددهم وهيئتهم. وقد زحف المسلمون نحو حنين ويراودهم الأمل في النصر، لأن السهولة التي تم بها فتح مكة كانت بمثابة دافعاً لهذه الغزوة، وساروا ولم يكتثروا بأعدائهم، حتى وصلوا وادي حنين، وكان مالك بن عوف ورجاله قد سبقوهم إلى احتلال مضايقه، ثم تهيؤوا لاستقبال المسلمين، وعندما أقبلت طلائع المسلمين الغفيرة تتدافع نحو الوادي وهي غافلة عما يكمن فيه، فانقض عليهم وابل من السهام يتساقط فوقهم من المكامن، وهنا شاع الفرع والخوف، وكسرت صفوف المسلمين المرصوصة وتبعثرت الصفوف، ونتيجة لذلك استقل الأعداء هذا الارتباك فهاجمت كتائب المسلمين، وما كان للمسلمين إلا وأن تراجع معظمهم مهزومين متقهقرين إلى الوراء حتى وصل بعضهم مكة. ولم يثبت في الموقف إلا رسول الله ﷺ ومعه عدد قليل من المهاجرين وأهل بيته. وفي هذا الموقف أخذ الرسول ﷺ ينادي الناس إذ يرون به منهزمين (أين أيها الناس؟! أين؟! هلموا إليّ). أنا رسول الله أنا محمد بن عبد الله، فلا يرد عليه أحد بجواب، لأن الارتباك كان سائداً في صفوف المسلمين إلى أقصى الحدود. عند ذاك أمر رسول ﷺ عمه العباس وكان جهور الصوت أن ينادي: يا معشر الأنصار! يا أصحاب البيعة يوم الحديبية! وسمع النداء المهاجرين والأنصار، فأخذوا يكافحون ليبلغوا مصدر الصوت، وأخذ عدد المسلمين الصامدين يتزايد، وهناك بدأ الهجوم المضاد على المشركين). فهذه المعركة أكدت الجانب الإيماني في نفوس المسلمين، فرغم عنصر وعامل المباغته الأولى، ورغم تفرقهم، فعندما سمعوا المنادي ينادي، لبوا النداء وعلى جناح السرعة، فلو لا قوة إيمان هؤلاء، لما رجعوا للقتال بعد أن سنحت لهم الفرصة الهروب من الساحة فالغزوة درساً في العقيدة الإسلامية.

اتجه المسلمون إلى أهل خيبر أعداء الإسلام والمسلمين، وقبيل المعركة وعظ الرسول ﷺ الناس، وفي هذا تربية إيمانية تتعلق بأصل الدعوة، وبدأت المعركة بين المسلمين وأهل خيبر الذين تحصنوا بحصونهم التي تمتاز بقوة حصانتها، (وكانت حصون خيبر الثلاثة منفصلاً بعضها عن بعض، وهي: حصون (النطاة) وحصون (الكتيبة) وحصون (الشق)، وكل حصن من هذه الحصون مقسم إلى ثلاثة أقسام أيضاً). وعسكر المسلمون حول الحصون بعيداً عن مدى النبل، وفي هذه الطريقة مهارة عسكرية فائقة إذ لم يهجم المسلمون على الحصون، وذلك تقديماً للخسائر، خاصة وأن أن يهود خيبر كانوا من أشد الطوائف اليهودية بأساً، وأكثرها مالاً، وأوفرها سلاحاً، وأخيراً بدأ القتال بين الطرفين انتهى بهزيمة اليهود. فكان لهذه الهزيمة نتائج استراتيجية هامة، حيث ظهر المسلمون كقوة حربية كبرى في الجزيرة العربية، بعد أن كانت قريش وحدها مسيطرة على الأمور

فيها. كما كسب المسلمون أكبر مكسب اقتصادي كان لهم العون في استراتيجيتهم القادمة، فقد غنم المسلمون غنائم كثيرة، قال تعالى: ﴿وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونه فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطاً مستقيماً﴾ الفتح:19.

رابعاً: مرحلة التكامل

لقد تحول مسار الدعوة الإسلامية بعد القضاء على أكبر قوة كانت تتربص بالمسلمين بعد فتح مكة (قوة قريش) وموقعة حنين، ومن ثم انطلق المسلمون إلى نشر الدعوة في الخارج، بعد أن استراحوا من شر وفتنة الأعداء بالداخل. ويمكن اعتبار هذه المرحلة من بعد (فتح مكة) وغزوة (حنين) إلى أن التحق النبي ﷺ بالرفيق الأعلى، وهي المرحلة التي تكاملت فيها قوة المسلمين، واستطاعت أن توحد شبه الجزيرة العربية كلها. (17)

لقد سيطر المسلمون بعد فتح مكة وإخضاع هوازن وثقيف على شبه الجزيرة العربية، حتى حدود الشام والعراق، وأصبح المسلمون مسئولين عن إدارة هذه البلاد وتنظيم حياتها العسكرية والاجتماعية. ولما كان الإسلام لم يكن دين العرب وحدهم، بل كان للناس كافة، فلذا لا بد من تأمين حرية نشر تعاليمه بين العرب وغيرهم. وبعد أن انتشر الإسلام في شبه الجزيرة العربية، أصبح من الضروري نشره خارجها، بعد أن أصبح المسلمون بدرجة عالية من القوة والتنظيم تساعد على حماية حرية انتشاره بين الناس كافة. وبالتالي سعى المسلمون إلى نشر الإسلام خارج الجزيرة العربية، ولا سيما الروم الذين أزعجهم انتصار الإسلام ونشره، فقاموا بحشد قواتهم على حدود الشام الجنوبية استعداداً لمهاجمة المسلمين، واستخدموا الأنباط الذين كانوا يتاجرون مع المدينة كعيون لنقل المعلومات إليهم عن المسلمين، تلك المعلومات التي أكدت لهم تزايد قوة المسلمين مادياً ومعنوياً، بحيث أصبحت تلك القوة تشكل خطراً داهماً يهدد الروم في بلاد الشام. (18) وهنا تصدى الرسول ﷺ على هؤلاء الروم باستراتيجية جديدة، فحرصاً منه على أن لا يهاجم المسلمون في عقر دارهم، وجه بالاستعداد لحرب الروم خاصة عندما بلغه أن الروم جمعت الجموع تريد غزوه في بلاده، وكان ذلك زمن عسرة الناس وجذب البلاد وشدة الحر وقسوة الظروف، وفي هذه الظروف الصعبة والموقف العصيب قرر الرسول ﷺ أن يتجهز الناس لقتال الروم، وبعث إلى قبائل العرب كافة وإلى أهل مكة يستنفرهم، رغم أنه كان في سابق غزواته قل ما يريد غزوة إلا أشار بغيرها للتضليل، ولكنه ونظراً إلى خطورة الموقف وإلى شدة العسرة، أعلن أنه يريد لقاء الروم، وليتهيأ الناس تهيئة كاملة، وحضهم على الجهاد، ورغب الناس في بذل الصدقات، وإنفاق كرائم الأموال في سبيل الله، فتسابق الصحابة في البذل، فمنهم من جاد بكل ماله، ومنهم من جاد بنفسه، ومنهم من جاد بأقل ما يملك. فاستراتيجية الاستنفار كانت في موقعها المناسب، إذ لم يستنفر الرسول ﷺ المسلمين من قبل بهذا المستوى، لأن المواقف السابقة تختلف عن هذا الموقف، لذا استجابت النفوس في الإنفاق في سبيل الله تعالى. (19) وبالفعل قد تجهز المسلمون، وبعد أن اكتمل إعداد الجيش وتهيأ للقتال، تحرك رسول الله ﷺ من المدينة نحو الشمال يريد تبوك في ثلاثين ألفاً من الجنود، وقد عان الجيش في طريقه مصاعب جمة، فكان الرجلان أو الثلاثة يتناوبون على

بعير واحد في حر شديد، وقد أصابهم من العطش ما أصابهم، حتى أنهم كانوا ينحرون إبلهم لينفضوا كرشها ويشربوا ماءها، فكانت عسرة في الماء، وعسرة في النفقة، وعسرة في الظهر، وعسرة في الطقس. وهكذا سار الجيش إلى أن نزل تبوك وعسكر هناك وهو مستعد للقاء العدو، وقام الرسول ﷺ كعادته في مثل هذه الظروف، فخطب في الناس إذ أنه حذر وأنذر وبشر وأبشر، حتى رفع معنويات الجنود عالية، أما الروم وحلفاؤهم فلما سمعوا بزحف الرسول ﷺ نحوهم أخذهم الرعب، فلم يتمكنوا على التقدم للقاء بل تفرقوا في البلاد في داخل حدودهم. وكان لذلك أثر حسن إلى سمعة المسلمين العسكرية في داخل الجزيرة وخارجها، ولما أمن المسلمون الموقف، فقد أقام الرسول ﷺ أياماً في تبوك تأميناً للحدود الشمالية، وعقد المعاهدات مع سكانها، وذلك تدعيماً لهيئة الإسلام في نفوس تلك القبائل، والعمل على حماية حرية نشر الدعوة في تلك الأرجاء، فلما أنجز المسلمون كل ذلك تحركوا عائدين إلى المدينة. (20)

وبنهاية هذه الغزوة أمن المسلمون حدود دولتهم الشمالية استراتيجياً، وبها سادت الطمأنينة والاستقرار في الدولة الإسلامية. فالإستنفار العام الذي استخدمه المسلمون في تبوك، هو نفسه في الحروب الحديثة الآن التي أصبحت تستخدم نفس هذا السلاح، من كافة الجوانب الإعلامية والمعنوية. وهذا ما يؤكد قدرة الرسول ﷺ كقائد عسكري ناجح، إذ جمع أكبر قوة عسكرية في زمن جدب وعسرة. كما أن ضرورة صقل الجيش بالخبرة والحكمة واحتمال الصعاب من الاستراتيجيات المهمة، فقد سلك جيش الرسول ﷺ طريقاً وعراً ولأطول مسافة ممكنة، ثم ضرورة رفع الروح المعنوية للجيش، إذ بلغت قوة الروح المعنوية لجيش الرسول ﷺ ما أن جعل الروم ينسحبون من اللقاء. فهذه آخر غزوة غزاها الرسول ﷺ.

الدراسات السابقة:

1. دراسة الصّلاي، علي محمد (2000):

السيرة النبوية (دروس وعبر في تربية الأمة وبناء الدولة). ففي هذا الكتاب تقصي لأحداث السيرة فيتحدث عن أحوال العالم قبل البعثة، والحضارات السائدة والأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والخلقية في زمن البعثة، وعن الأحداث المهمة قبل المولد النبوي، وعن نزول الوحي، ومراحل الدعوة، والبناء التصوري والأخلاقي والتعبدية في العهد الملكي، وعن أساليب المشرّكين في محاربة الدعوة، وعن الهجرة إلى الحبشة، ومحنة الطائف، ومنحة الإسراء والمعراج، والطواف على القبائل، ومواكب الخير وطلائع النور من أهل يثرب والهجرة النبوية، ويقف الكتاب بالقارئ على الأحداث مستخرجاً منها الدروس والعبر والفوائد لكي يستفيد منها المسلمون في عالمنا المعاصر، وتحدث الباحث عن حياة الرسول ﷺ منذ دخوله المدينة إلى وفاته وبين فقه الرسول ﷺ في إرساء دعائم المجتمع وتربيته ووسائله في بناء الدولة، ومحاربة أعدائها في الداخل والخارج، فيقف الباحث على فقه الرسول ﷺ في سياسة المجتمع ومعاذته مع أهل الكتاب التي سجلت في الوثيقة، وحركته الجهادية، ومعالجته الاقتصادية، والارتقاء بالمسلم نحو مفاهيم هذا الدين الذي جاء لإنقاذ البشرية من دياجير الظلام، وعبادة الأوثان، وانحرافها عن شريعة الحكيم المتعال، وقد

حاول الباحث أن يعالج مشكلة اختزال السيرة النبوية في أذهان الكثير من أبناء الأمة، ففي هذه الدراسة يجد القارئ تسليط الأضواء على البعد القرآني الذي له علاقة بالسيرة النبوية، كغزوة بدر، وأحد، والأحزاب، وبنو النضير، وصلاح الحديبية، وغزوة تبوك، فبين الباحث الدروس والعبر وسنن الله في النصر والهزيمة، وكيف عالج القرآن الكريم أمراض النفوس من خلال الأحداث والوقائع؟

2. دراسة أحمد، إبراهيم علي محمد (1999) بعنوان:

« الاستخبارات في دولة المدينة المنورة ». هدفت الدراسة إلى الوقوف على جوانب الحذر والحماية في دولة المدينة المنورة، كي نفيد منها في واقع حياتنا المعاصرة، وبخاصة في الجانب الأمني الذي أغفله كثير من المسلمين وتأصيله والتأسي برسول الله ﷺ في هذا الخطير والهام.

وقد وجاءت الدراسة على شكل كتاب يقع ضمن ثلاثة فصول كالتالي:

الفصل الأول: الجوانب الأمنية داخل المجتمع المسلم.

الفصل الثاني: الجوانب الأمنية في علاقة المجتمع المسلم باليهود.

الفصل الثالث: الجوانب الأمنية في غزوات الرسول ﷺ.

3. دراسة المباركفوري، صفي الرحمن (1996) بعنوان:

« الرحيق المختوم ». هدفت الدراسة إلى توثيق سيرة الرسول صلى الله عليه كاملة بالاعتماد على كتب التاريخ والسير والسنة، والتدقيق والتأكد من صحتها، وقد جاءت الدراسة في كتاب يقع في عدة فصول:

1. العرب قبل الإسلام من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية.

2. مولد الرسول ونشأته ونسبه وحياته قبل النبوة.

3. في ظلال النبوة والرسالة.

4. الأعوام الثلاثة عشر المكية وأحداثها من المقاطعة وعام الحزن والدعوة إلى الإسلام

خارج مكة وبيعة العقبة الأولى والثانية.

5. هجرة الرسول وأصحابه من مكة إلى المدينة.

6. العهد المدني وأحداثه بدءاً بالموأخاة وبناء المسجد.

7. توقيع المعاهدات مع اليهود المحيطين بالمدينة

8. غزوات الرسول والحديث عن النشاط العسكري للمسلمين بعد كل غزوة.

9. السرايا والبعوث إلى ملوك الأرض.

4. دراسة محفوظ (1980):

بعنوان « الجانب العسكري في حياة الرسول » هدفت الدراسة إلى عرض بعض الجوانب العسكرية من حياة الرسول كالقيادة والتخطيط وإدارة العمليات الحربية والتعرف على جيش الإسلام الذي تعلم في المدرسة العسكرية الإسلامية وطبق نظرياتها وتعليماتها. استخدم الباحث المنهج التاريخي للوقوف على الجانب العسكري في حياة النبي ﷺ.

أهم نتائج الدراسة:

1. تميزت عقيدة الجهاد بوضوح الهدف وملاحقة تطور العصر.
2. من صفات القيادة: الصبر وقوة الاحتمال، والثبات على المبدأ، والشجاعة، والنجدة، والتوازن النفسي، والعدل، وعدم الاستعلاء، وقوة الشخصية.
3. مما جرت عليه سنته يمكن الوقوف على عدة أسس في إعداد القادة منها: اكتساب القائد لصفات المقاتل، التحلي بصفات القيادة، المشاركة في التخطيط للمعارك.
4. إن من توجيهات الإسلام في الانضباط والقتال العسكري، الطاعة والنظام والنظافة وحسن المظهر، والاحترام المتبادل بين الرتب، والعناية بالأسلحة والمعدات.
5. دراسة ابن كثير، إسماعيل: (1976م) بعنوان: «السيرة النبوية» هو أحد كتب السيرة، ألفه الحافظ ابن كثير (700-774)، ويبحث المؤلف في كتابه سيرة الرسول ﷺ من خلال ذكر العرب قبل الإسلام، ثم ولادة الرسول ﷺ وما يتعلق بها من اسم ونسب ورضاعة وغيرها، ونشأته وبعثته، وفترته المكية ثم هجرته وفتوحاته ووفاته وغير ذلك مما يتعلق بالسيرة النبوية المطهرة، ويقع الكتاب في أربعة أجزاء كبيرة :
الجزء الأول: يذكر فيه العرب قبل الإسلام حتى جهرية الدعوة.
الجزء الثاني: وأوله باب الهجرة إلى الحبشة وختامه السنة الثانية من الهجرة.
الجزء الثالث: وأوله سنة ثلاث للهجرة وختامه سنة ثمان للهجرة.
الجزء الرابع: وأوله سنة تسع للهجرة حيث غزوة تبوك وختامه وفاة الرسول ﷺ ثم جزء مفرد في شمائل الرسول وخصائصه وفضائله ودلائل نبوته.

خلصت الدراسات السابقة إلى مجموعة من النتائج أهمها:

1. تولية القيم والتربوية أهمية خاصة، لرأب الصدع وتحسين الساحة الإسلامية، أفراداً وجماعات من الظواهر المرضية والانحرافات السلوكية والحركية.
2. إعادة النظر في المناهج والسياسات التربوية في ضوء فرضية اعتماد النهج الوقائي في شتى المجالات التربوية.
3. هناك نماذج وتوجيهات تربوية جاءت خلال النصوص القرآنية دون أن تحمل مضمون القيم في سياقها، وقد وقفنا على بعض النماذج منها على سبيل المثال لا الحصر.
4. ظهر السبب الحقيقي لتحقيق الأمن للمؤمنين في الدنيا والآخرة وهو الإيمان بالله والاستقامة على الأعمال الصالحة.
5. من خلال النصوص القرآنية المرغبة في الأمن وأسبابه، والمرهبة من فقدانه، يتربى المؤمن تربية قرآنية متميزة عن الأمن المصطنع الذي يزعمه البشر إذ لا أمن لأحد لم يتكفل الله له بالأمن من عنده، وبهذا يظهر لنا الإعجاز التربوي في كتاب الله، حيث بلغت النظرية القرآنية حدًا فاقت به كل النظريات الأمنية البشرية.

6. على الدولة المسلمة أن تعتمد في بناء مؤسساتها العامة العسكرية منها على وجه الخصوص، على الأيدي العاملة المسلمة والمؤسسات الوطنية الخالصة.
7. على الدولة الإسلامية ألا تعرض جميع ما عندها من أنواع السلاح في العرض العسكري كما نشاهدها اليوم، ولابد من وضع ضوابط أمنية صارمة على جميع وسائل الإعلام المرئية، والمسموعة والمقروءة تمنع منعاً باتاً التعرض لأي سر من أسرار الأمة.

الخاتمة:

إن السيرة النبوية غنية في كل جانب من الجوانب التي تحتاجها مسيرة الدعوة الإسلامية، فالرسول ﷺ لم يلتحق بالرفيق الأعلى إلا بعد أن ترك سوابق كثيرة لمن يريد أن يقتدي به في الدعوة والتربية والثقافة والتعليم والجهاد، وكافة شؤون الحياة، كما أن التعمق في سيرة الرسول ﷺ، يساعد القارئ على التعرف على الرصيد الخلقي الكبير الذي تميز به رسول الله ﷺ عن كل البشر ويتعرف على صفاته الحميدة. وتتمثل أهمية دراسة القيم التربوية في السيرة النبوية، في أن السيرة النبوية الشريفة تعتبر واحدة من أهم وأجل العلوم، التي يتعلمها العبد المسلم في حياته؛ لأنها سيرة خير المرسلين النبي محمد ﷺ فهو القدوة لنا جميعاً توافرت في شخصيته كل عوامل بناء الأمة وتحقيق النصر من خلال القيم التربوية في سيرته الحميدة، من خلال دراسة القيم التربوية، في السيرة النبوية والتي تتمثل في القيم الآتية: القيم التربوية الإيمانية وتتمثل في الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقدر، والعمل الصالح وإخلاص النية لله - تعالى فيه، وفي محبة الله تعالى ورسوله والمؤمنين، والخوف والرجاء من الله تعالى، والدعاء، والتقوى، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. كذلك توافر القيم التربوية الاجتماعية والتي تتمثل في الحث على الإحسان والرحمة، والعدل، والعفو، والقوة، والعزة، والصدق، والأمانة، والتعاون بين الناس ومن خلال الغزوات استطاع الرسول ﷺ إنشاء مجموعة من القيايين الذين قادوا الأمة الإسلامية بعد وفاته حيناً من الزمان، لأنهم تزودوا وتشبعوا بالقيم التربوية التي رباهم لها قائداهم الأعلى، فلاقوا الفرس والرومان في ميادين القتال، ففاقوهم في تخطيط الحروب وإدارة دفة القتال، حتى أجلوهم من أراضيهم، ثم أنه غير فلسفة الحرب من حرب الظلم والعصبيية، إلى حرب العدل والعفو عند المقدرة، وهو الذي قال عند فتح مكة: (لا تجهزن على جريح، ولا تبعن مدبراً، ولا تقتلن أسيراً)، ثم أنه سن سنة حسنة، قيم تربوية مازالت ماثلة في تاريخ الحروب إلى يومنا هذا، بأن السفير لا يقتل، وشد في النهي عن قتل المعاهدين، إلى غير ذلك من القواعد النبيلة التي طهرت الحروب من أدران الجاهلية. وأخيراً إن جهاده كان رحمة للبشرية إذ استقرت النفوس وأمن الناس على حياتهم، وسير حوادث غزواته أثبت أنه ابتدع بعض الأساليب القتالية التي لم تكن مألوفاً آنذاك، فتمكن من إرسال دوريات استطلاعية إلى الجهات التي أراد غزوها، ثم أنه بنا جيشاً من لشيء أصبح مهاباً عند الجميع، وهو الذي استخدم أسلوب الرسائل المكتومة حتى يضمن سرية تحرك جيشه، كما أنه مارس سياسة الحصار الاقتصادي مع بعض أعدائه، الأمر الذي أجبر بعضهم للاستسلام، ثم أنه مارس أسلوب الخداع الحربي في بعض غزواته، كما أنه لم يستغن عن استخدام

العيون في جميع غزواته، كما أنه ابتكر الكثير من الأدوات الحربية التي لم تكن معروفة آنذاك في بعض غزواته (حفر الخندق). ومع كل هذا أنه سلك كل الطرق السلمية تفادياً لحدوث قتال، فعاهد من يريد المعاهدة، وصالح من مدّ له يد المصالحة، وكاتب من أمن شره، كما أنه القائد الشورى الذي لم ينفرد برأي، فكثيراً ما استشار أصحابه فيما يتعلق بسير ضفة القتال، وكثيراً ما خضع لرأي الكثيرين منهم في مسائل قتالية هامة. بهذه المزايا الاستراتيجية انتصر المسلمون وقائدهم الرسول ﷺ.

استنتاجات نتائج البحث:

1. طبق الرسول ﷺ كل مبادئ القيم التربوية السمحة في استراتيجية الحرب المعروفة من تخطيط سليم وهجوم مسبق وإنذار مبكر فالاستراتيجية شملت جانبين مهمين: حيث شملت جانب الدعوة والتبليغ انطلاقاً من مرحلة السرية ومروراً بمرحلة الجهرية.
2. إن المؤمن الحق لا يخاف الموت ولا يخشى الفقر ولا يهاب قوة في الأرض، يسالم ولا يستسلم، ولا تضعف عزيمته، ولا يستكين للاستعمار الفكري، يقاوم العدو بكل طرق المقاومة، ولا يقنط ولا يئس أبداً من رحمة الله تعالى.
3. من القيم التربوية الحسنة، أن المؤمن الحق يكون دائماً يقظاً أشد ما تكون اليقظة، حذراً أعظم ما يكون الحذر، يتأهب لعدوه، ويعد العدة للقائه ولا يستهين به في السلم والحرب.
4. من القيم التربوية الفاضلة، أن القائد المؤمن يستمد توجيهاته العسكرية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ففي القرآن الكريم آيات محكمات تعمل على ترسيخ العقيدة العسكرية في عقول المسلمين وقلوبهم بكل ما فيها من أسس وقيم.
5. إن القيم التربوية في العقيدة العسكرية الإسلامية تفسر لنا سر انتصارات المسلمين وسر الفتوحات الإسلامية العظيمة. فقد كان شعار أولئك السلف النصر أو الشهادة، فكانوا حقاً يحرصون على الموت بقدر ما يحرص غيرهم على الحياة.
6. إن القيم التربوية في العقيدة العسكرية الإسلامية تهتم بالفرد كمقاتل، وتعتمد على الرجال لا على عددهم وكثرتهم، وإنما تعتمد على قدراتهم وإمكاناتهم ومشاعرهم ومعنوياتهم، وهذا لا يعني الاستغناء عن الجنود، بل الجنود هم الذين يقاتلون، ولكن المهم في هؤلاء الجنود قوة إيمانهم بالعقيدة الإسلامية ومبدأ القتال.

توصيات البحث:

1. ضرورة الاهتمام بسيرة الرسول ﷺ وإبراز دورها من خلال تربيته الرعيل الأول من الصحابة الكرام، وتوضيح دوره في نشر الدعوة الإسلامية من خلال القيم التربوية الجهادية.
2. ترقية أداء الكادر الإسلامي للرد على الشبهات والمستشرقين ضد الشريعة الإسلامية والجهاد الإسلامي والمسلمين ووصفهم بالتطرف.
3. تفعيل ما تضمنه هذا البحث في الواقع المعاش، من أجل خدمة المجتمع المسلم من خلال إرساء دعائم القيم التربوية النبيلة في الجهاد الإسلامي.

الخاتمة:

إن السيرة النبوية الجهادية غنية في كل جانب من الجوانب التي تحتاجها مسيرة الدعوة الإسلامية، فالرسول ﷺ لم يلتحق بالرفيق الأعلى إلا بعد أن ترك سوابق كثيرة لمن يريد أن يقتدي به في الدعوة والتربية والثقافة والتعليم والجهاد، وكافة شؤون الحياة، كما أن التعمق في سيرة الرسول ﷺ يساعد القارئ على التعرف على الرصيد الخلقي الكبير الذي تميز به رسول الله ﷺ عن كل البشر ويتعرف على صفاته الحميدة. وتتمثل أهمية دراسة القيم التربوية في السيرة النبوية، في أن السيرة النبوية الشريفة تعتبر واحدة من أهم وأجل العلوم، التي يتعلمها العبد المسلم في حياته؛ لأنها سيرة خير المرسلين النبي محمد ﷺ فهو القدوة لنا جميعاً توافرت في شخصيته كل عوامل بناء الأمة وتحقيق النصر من خلال القيم التربوية في سيرته الحميدة، من خلال دراسة القيم التربوية، في السيرة النبوية والتي تتمثل في القيم الآتية: القيم التربوية الإيمانية وتتمثل في الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقدر، والعمل الصالح وإخلاص النية لله -تعالى فيه، وفي محبة الله تعالى ورسوله والمؤمنين، والخوف والرجاء من الله تعالى، والدعاء، والتقوى، والامر بالمعروف، والنهي عن المنكر. كذلك توافر القيم التربوية الاجتماعية والتي تتمثل في الحث على الإحسان، والرحمة، والعدل، والعفو، والقوة، والعزة، والصدق، والأمانة، والتعاون بين الناس فمن خلال الغزوات استطاع الرسول ﷺ إنشاء مجموعة من القياديين الذين قادوا الأمة الإسلامية بعد وفاته حيناً من الزمان، لأنهم تزودوا وتشبعوا بالقيم التربوية التي رباهم لها قائد هم الأعلى، فلاقوا الفرس والرومان في ميادين القتال، فغلبوا عليهم في تخطيط الحروب وإدارة دفة القتال، حتى أجلوهم من أراضيهم، ثم أنه غير فلسفة الحرب من حرب الظلم والعصية، إلى حرب العدل والعفو عند المقدرة، وهو الذي قال عند فتح مكة: (لا تجهزن على جريح، ولا تتبعن مدبراً، ولا تقتلن أسيراً)، ثم أنه سن سنة حسنة، قيم تربوية مازالت ماثلة في تاريخ الحروب إلى يومنا هذا، بأن السفير لا يقتل، وشدد في النهي عن قتل المعاهدين، إلى غير ذلك من القواعد النبيلة التي طهرت الحروب من أدران الجاهلية. وأخيراً إن جهاده كان رحمة للبشرية إذ استقرت النفوس وأمن الناس على حياتهم، وسير حوادث غزواته أثبت أنه ابتدع بعض الأساليب القتالية التي لم تكن مألوفة آنذاك، فتمكن من إرسال دوريات استطلاعية إلى الجهات التي أراد غزوها، ثم أنه بنا جيشاً من لا شيء أصبح مهاباً عند الجميع، وهو الذي استخدم أسلوب الرسائل المكتومة حتى يضمن سرية تحرك جيشه، كما أنه مارس سياسة الحصار الاقتصادي مع بعض أعدائه، الأمر الذي أجبر بعضهم للاستسلام، ثم أنه مارس أسلوب الخداع الحربي في بعض غزواته، كما أنه لم يستغن عن استخدام العيون في جميع غزواته، كما أنه ابتكر الكثير من الأدوات الحربية التي لم تكن معروفة آنذاك في بعض غزواته (حفر الخندق). ومع كل هذا أنه سلك كل الطرق السلمية تفادياً لحدوث قتال، فعاهد من يريد المعاهدة، وصالح من مد له يد المصالحة، وكتب من أمن شربه، كما أنه القائد الشورى الذي لم ينفرد برأي، فكثيراً ما استشار أصحابه فيما يتعلق بسير ضفة القتال، وكثيراً ما خضع لرأي الكثيرين منهم في مسائل قتالية هامة. بهذه المزايا الاستراتيجية انتصر المسلمون وقائدهم الرسول ﷺ.

المصادر والمراجع:

1. مسلم، أبو الحسن بن حجاج بن مسلم القشيري، (1929م)، صحيح الإمام مسلم، شرح النووي، الطبعة الأولى، المطبعة المصرية بالأزهر، القاهرة، مصر، ص152.
2. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (1981م)، صحيح الإمام البخاري، (تحقيق مصطفى ديب البقا)، دار القلم، دمشق، سوريا، ص322.
3. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (1995م)، مختار الصحاح، طبعة جديدة الجزء 6، تحقيق محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ص2071.
4. الشهابي، إبراهيم يحي (1993م)، الحرب والسلام في الإسلام، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ص214.
5. (5) الجزائري/ أبو بكر (1991م)، منهاج المسلم، دار الجيل، بيروت، لبنان، ص89.
6. بن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (1970)، الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلثة الخلفاء، الجزء الثاني، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ص243.
7. نوفل، أحمد، (1989م) الحرب النفسية، دار الفرقان للتوزيع والنشر، عمان، الأردن، ص178.
8. دو يدار، أمين (1953م)، صور من حياة الرسول، ط4 دار المعارف، القاهرة، ص312.
9. نيل، حسين عبد الحميد (1991م)، الحياة العسكرية لقائد البشرية، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص65.
10. إمام، زكريا بشير (1992م)، إسلامية التربية والتعليم، المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية، الجزء 3، المعهد العلمي للفكر الإسلامي، ولاية فرجينيا، الولايات الأمريكية المتحدة، ص189.
11. فوري، صفى الرحمن المبارك (1993م)، الرحيق المختوم، مكتبة الإيمان، المنصورة، الطبعة 1، مصر، ص134.
12. العلواني، طه جابر (1992م)، الأزمة الفكرية المعاصرة، المعهد العلمي للفكر الإسلامي، ولاية فرجينيا، الولايات الأمريكية المتحدة، ص246.
13. شحادة، محمد نور الدين، (1999م)، مفاهيم استخبارية قرآنية، مكتبة الرائد العلمية، عمان، الأردن، ص32.
14. الصلاي، علي محمد، (2001م)، السيرة النبوية دروس وعبر في تربية الأمة وبناء الدولة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، بيروت، لبنان، ص57.
15. خطاب، محمود شيت، (2002م)، الرسول القائد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص167.
16. سعد الدين، أحمد عبد القادر (2009م)، استراتيجية الرسول ﷺ القتالية في غزواته، المجلة العلمية، العدد 6، جامعة الزعيم الأزهري، الخرطوم بحري، السودان، ص9.
17. أحمد، إبراهيم علي محمد (1999)، الاستخبارات في دولة المدينة المنورة، ط1، دار القلم، دمشق، العراق، ص93.

18. محفوظ (1980) الجانب العسكري في حياة الرسول، مكتبة المنار، الأردن، ص214.
19. سعد الدين، أحمد عبد القادر، (2009م)، استراتيجية الرسول ﷺ القتالية في غزواته، المجلة العلمية، العدد 6، جامعة الزعيم الأزهري، الخرطوم بحري، السودان، ص16.
20. أبو العينين، علي خليل، (2001م)، أصول الفكر التربوي بين الاتجاه الإسلامي والاتجاه التغريبي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ص19.